

الكابوس

■ لم يكن قد ادرك بعد اثناء عودته من العمل، ان لحظات تفكيره العميقة بدأت تضعف تركيزه عند قطعه للشارع السريع، فمنذ ان استيقظ مرتجفاً تلك الليلة غارقاً في بحيرة عرقه البارد اصبح اكثر قلقاً ووحشة وبأت محاولات الجميع لطمأنته بالفشل وبدأت علاقته بالاشياء تضمحل رويداً رويداً... لم يكن كابوساً عادياً كتلك التي اعتادها منذ اسابيع بل لم يكن كابوساً على الاطلاق... كان حقيقة شاهد تفاصيلها بدقة اكثر من مشاهدته لتفاصيل هذا اليوم الضبابي الكثيب... وعندما حاول ان يشعل نور غرفته المظلمة في الطابق العلوي ادرك ان مفاصله المرتعشة لم تعد قادرة في تلك اللحظات على حمله واصيب بالهلع عندما شعر انه لم يعد قادراً حتى على البكاء..

أحكم اغلاق معطفه بعشوائية وفتح الباب الزجاجي بعنف دون ان يكتث للزبائن الذين كانوا يقرأون قائمة الاسعار بجوار الباب والذين نظروا اليه شزراً لكنه كان قد قطع مسافة كبيرة وتوارى عند اول منعطف.. نعم لم يكن

كابوساً.. فرائحة اطارات الشاحنة لا تزال عالقة في رئتيه والصور المتكسرة للغيوم الرمادية لا تزال ملتصقة بجدار قزحيته التي اصابها الذبول مثل جسده الناحل يوماً بعد يوم...

- «لكنه لم يكن حلماً»... كان يردد دائماً باصرار كلما حاولوا تهدئته.

كعادتها لا ترتسم الالوان في الحلم وتختلط دائماً الاماكن والصور... «كنت غارقاً في التفكير في شيء ما، شيء لم اعد اتذكره، عندما قطعت الشارع السريع عائداً من العمل في ظهيرة يوم غائم»... ولم يتدرك الى سمعه صوت اطارات الشاحنة الا بعد فوات الاوان. حتى تلك الاصوات التي ارتفعت من الرصيف المقابل قبيل ذلك كانت بلا معنى ولم تستطع ارتجافة عضلات ساقيه ان توقف تسارع الاحداث فالتصق جسده الضئيل بمقدمة الشاحنة ثم ارتدى متناثراً تحت عجلائها الضخمة التي رسمت على طول الشارع خطوطاً سوداء ذات رائحة كربونية خانقة.. «كانت الغيوم القطنية الداكنة تتحرك امام عيني بتلقائية وبدأت رؤوس كثيرة تظهر ثم تختفي يرتسم على ملامحها الخوف والفرع ومن الاعلى بدا المنظر واضحاً ففي منتصف الشارع كان الناس يتقاطرون كمنمل حائر حول صرصار ضخم انقلب على ظهره...»

عندما استيقظ مرعوباً كان شيء ما قد فقد بداخله..

شيء اكتسب لغيابه حساً فيزيائياً فشعر بجسده خفيفاً مجوفاً. كانت الغرفة مظلمة وتمتلئ برائحة كربون محترق...

منذ تلك اللحظات العصبية والهاجس لا يفارقه ابداً... فبالغ بالحذر عند قطعه الشارع وباتت اي حركة عادية تبدو له بداية للنهاية الوشيكية. كان الجميع قد لاحظ الضمور الذي اصابه.. حتى هو استطاع بعد فترة ان يلاحظ التغيير الذي طرأ على تصرفاته في الاونة الاخيرة فقد لاحظ انه لم يعد يمارس هوايته المفضلة بعد خطواته على الارصفة وانه بدأ «يقضي حاجته» اكثر من المعتاد دون ان يضطر لخلع جميع ملابسه!..

- «كأت يوماً ضبابياً كهذا»... أنهكه الهاجس طويلاً. كان قد قرر ان يطرد من مخيلته تلك الصور المتتابعة. ان يستريح من الوهم، خاصة وانهم بالامس كانوا قد انذروه بالطرد بعد ان نسي القرن الرئيسي مشتعلاً في احدى دورياته الليلية، لكن دون جدوى... تنهد بأسى وهو يرنو الى الغيوم الداكنة التي كانت تتحرك بسرعة. كان ذهنه مشتتاً كالعادة وواصلت قدماه المسير بخفة تذرعان الرصيف.. كانت اصوات متفرقة قد ارتفعت من الرصيف المقابل لم يميزها.. وتدارك لسمعه وقع شيء مهول يتحرك فارتعشت عضلات ساقيه وبسرعة تكسرت صور لغيوم قطنية في عينيه قبل ان تتدارك في ذهنه الاحداث وتزعج انفه المهشمة رائحة كربون خانق.